

الأنظمة ذات المصادر المختلفة (على الرغم من أنني لا أحب استعمال كلمة نظام ، لأنها توحي بالاستنباط الواعي أكثر مما توحي بالتمو) : إنه مزيج مثل مزيج الأجناس ، وهو يرجع بالفعل ، جزئياً ، إلى أصول عرقية . ذلك أن إيقاعات الأنجلوساكسون والكلتيين والفرنسيين النورمانديين والانكليزي من أهل العصر الوسيط ، والسكوتلانديين تركت جميعاً بصماتها على الشعر الانكليزي ، وذلك جنباً إلى جنب مع إيقاعات اللاتينية ، وفي فترات مختلفة ، مع إيقاعات الفرنسية والإيطالية والاسبانية . وكما هو الأمر في حالة الكائنات البشرية في عرق مركب حيث تسود صفات موروثية مختلفة في أفراد مختلفين ، حتى في أعضاء من الأسرة ذاتها ، فهناك عنصر أو آخر من المُرَكَّب الشعري يمكن أن يكون أكثر ملاءمة لشاعر أو آخر ، أو لفترة معينة أو سواها . إن نوع الشعر الذي نحصل عليه يتقرر ، من وقت إلى آخر ، بتأثير أدب من الآداب المعاصرة في لغة أجنبية ، أو بالظروف التي تجعلنا نتعاطف مع فترة من فترات ماضينا أكثر مما نفعل مع سواها ، أو بالتوكيد الغالب في التربية ولكن هناك قانوناً واحداً من قوانين الطبيعة هو أكثر قوة من أي من هذه التيارات أو المؤثرات المتغيرة القادمة من الخارج أو من الماضي : وهو القانون الذي يقضي بالألّا يتيه الشعر مفرطاً في البعد عن لغة الحياة اليومية العادية التي نستعملها ونسمعها ، وسواء أكان الشعر قائماً على النبرة أو على المقطع الصوتي ، وعلى القافية أو بدونها ، ومحافظاً على الشكل أو حرّاً ، فإنه لا يطيق فقدان اتصاله بلغة التعامل العام المتغيرة .

وقد يبدو غريباً أنني عندما أزعّم أنني أتحدث عن « موسيقا » الشعر ، أضع مثل هذا التوكيد على المحادثة . ولكنني أودّ أن أذكرك أولاً أن موسيقا الشعر ليست شيئاً يوجد مستقلاً عن المعنى . وإلّا لكان في وسعنا أن نحصل على شعر ذي جمال موسيقي عظيم ولا معنى له . وأنا لم أعرّض قط على مثل هذا الشعر . أما الاستثناءات الظاهرية فلا تزيد على أن ترينا اختلافاً في الدرجة : فهناك قصائد تهزّنا فيها الموسيقا ونستخف فيها بالمعنى ، وهذا يطابق تماماً وجود قصائد ننتبه